

SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 3، العدد 2، أكتوبر 2017

e-ISSN: 2289-8468

ALAIETIRADAT ALSARFIAT EIND ALZIJAJ EALAA MAERIBI ALQURAN FI KITABAH " MAEANI ALQURAN WA'IIERABUH "

الاعتراضات الصرفية عند الزجاج على معربي القرآن في كتابه " معاني القرآن وإعرابه "

علي حسين أحمد محمد

alihossin1976@gmail.com

الجامعة الوطنية الماليزية

2017 – 1439

ARTICLE INFO
Article history:
Received 4/8/2017
Received in revised form 25/8/2017
Accepted 1/10/2017
Available online 15/10/2017
Keywords:

Abstract

The concern of this research is about the objection. This science has been established since the emergence of authorship. The authors' books flourish with this type of objection. Previously and recently, several Objection writings have been authored. It stems from a scientist who is expertise in language and its branches. No one can go into it unless he has full knowledge of all aspects of the matter that he wants to remark and to object to it. Among the books that have great value of objection in many issues the book of "Meaning of the Quran and its analysis" by Abu Ishaq Al-Gawzahz. The book contains a rich knowledge as the author includes all his knowledge in it. It is considered to be one of his greatest works and it is a base of several studies. Thus, this study has been specializing in one of its aspects. The researcher tries to discuss some of its objections but not all, specifically morphology. The study titled under "The morphological objections in the meaning of the Quran and its analysis" the researcher has collected all the morphological objections that Al-Gawzahz objected to previous analysts. He also returned them to their original authors and verified from the views of their owners. Further,he looked at the origin of Al-Gawzahz's objections, 'Is it ideological objections and have the point of view? Or is it true and follow the basic of syntax that is common between grammarians?' It included all the analysts from Al-Basrah School and Alkoofah School, Al-Gawzahz was mostly fair on them and he had his own view and character that emerged in his writings.

Keywords: The objections. The analyst. Doctrinal differences. Morphological objections.



ملخص البحث

يدور موضوع هذا البحث حول الاعتراض، وهذا العلم نشأ منذ نشأة التأليف، وكُتُبِ المؤلفين تزدهر بهذا النوع من الاعتراضات، وألفت العديد من المؤلفات قديماً وحديثاً حول هذا الفن، وهو نابع من عالم له دراية باللغة وعلومها، فلا يستطيع أحد الخوض فيه إلا وله إلمام كبير بكل جوانب المسألة التي يريد الكلام عنها والاعتراض عليها، ومن الكتب التي لها قدر كبير من الاعتراضات في كثير من المسائل كتاب "معاني القرآن وإعرابه" لمؤلفه أبو إسحاق الزجاج، فقد جمع بين دفتيه علم غزير، وقام مؤلِّفَه بوضع جل علمه فيه، فهو يعد من أكبر مؤلفاته، وأقيمت عليه العديد من الدراسات، وفي هذا الجانب أحاول أن أضع يدي على بعض من اعتراضاته، وليست كل الاعتراضات وإنما الجانب الصرفي، في دراسة سميتها " الاعتراضات الصرفية في معاني القرآن وإعرابه " فقد قمت بجمع الاعتراضات الصرفية التي اعترض بها الزجاج على المعربين الذين سبقوه، ودراستها دراسة صرفية، وإرجاعها إلى مصادر مؤلفيها، والتحقق من آراء قائليها، والنظر إلى أصل اعتراضات الزجاج، هل هي خلافات مذهبية ولها وجهة نظر، أم هي صحيحة تتبع أصول النحو المتعارف عليها عند النحاة.

الكلمات المفتاحية: الاعتراض . المعربين . خلافات مذهبية . الاعتراضات الصرفية . اعتراضات الزجاج .

مقدمة:

إن كتاب الله تعالى هو حبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وخير ما تصرف فيه الأوقات هو تلاوته وترتيله وتدبره وتفهم معانيه وتعلمه وتعليمه والعمل بمقتضاه، وقد انكب العلماء عليه بالدراسة في جميع جوانبه، وفي شتى مجالاته، لغةً وفقهاً وتفسيراً وبلاغةً، ومن خلال اطلاعي على بعض الكتب التي ألفت في الدراسات اللغوية وخاصة في إعراب القرآن الكريم، لاحظت أن علماء كثر ألفوا في هذا المجال، فلكل عالم كان له طريقة في تأليفه ومنهجه الذي سار عليه، ولو لم يكن لكل منهم رأي وطريقة في الفهم لجاءت كل المؤلفات على نسق واحد، وكل مؤلف كان له اطلاع على المؤَلَّف الذي قبله، ومن هنا اعترضوا على بعضهم البعض في كثير من المسائل،فجاءت الآراء المختلفة في المسألة الواحدة، وألفت فيها العديد من الكتب التي تدور حول الاعتراضات، منها على سبيل المثال: 1- اعتراضات أبي حيان على النحويين في التذليل والتكميل، من إعداد منصور عريف عبد الرحمن، وكذلك 2- اعتراضات السهيلي على النحاة، جمعاً ودراسة، من إعداد عبد الله آل داود، 3- اعتراضات الرضي على ابن الحاجب في شرح الشافية، إعداد مهدي بن علي بن مهدي القرني، 4- اعتراضات الرضي على سيبويه في شرح الكافية، إعداد محمد بن عبدالله المالكي، 5- اعتراضات ابن يعيش على آراء الزمخشري النحوية والصرفية في كتاب شرح المفصل،إعداد محمد سعيد صالح ربيع الغامدي، وهذه الاعتراضات هي عمل رصين تقوم على مقابلة الأدلة والحجج، ولا تهدف إلى التتبع المقصود للأخطاء والهنات، بل تهدف إلى بيان المعنى والحقيقة العلمية على وجه الصواب، ونبرز في هذا السياق بعض المصطلحات التي قد تختلط في الاستعمال، ومنها الاستدراكات، والتعقيبات، والاختيارات، وهي في جملتها تصب في مضمون الاعتراض، وهذا الاعتراض في عادته ينشأ من مخالفة اللاحق للسابق في رأي أو نقل في نسبة أو استدلال أو غير ذلك، ولعل من أوضح الاختلاف في الساحة النحوية الخلاف بين البصريين والكوفيين، ومن أشهر الكتب في ذلك الإنصاف في مسائل الخلاف. وأما الأسباب التي أدت إلى الخلاف والاعتراض بين النحويين واستمرت طيلة فترة التأليف والتصنيف قديما وحديثا فهي أسباب علمية ذات علاقة بمادة اللغة وطبيعة هذا العلم وأدلته الأصلية والفرعية، وما خرج عن ذلك كالأمور العقدية أو المذاهب الشرعية فهي مسائل قليلة شد فيها الرأي المخالف، ولم يكن لها تأثير كبير في توجيه المسألة، وقد أهتم العلماء بهذا الفن قديماً، ومن هؤلاء العلماء الأجلاّء أبو إسحاق الزّجّاج الذي آلت إليه زعامة المدرسة البصريّة بعد

وفاة شيخه المبرّد، فهو عَلم من أعلام النحو العربي، له تآليف متنوعة، ومن أبرزها كتابه "معاني القرآن وإعرابه"، الذي أفرغ فيه علمه، وتجلّت فيه شخصيته، فهو فيه يختار، ويعترض، ويحتجّ، ويعلل،وقد استغرق في تأليفه ما يقارب ستة عشر عاماً، فأحببت أن أقف على جانب من جهده في هذا الكتاب واستقر الرأي –بعد البحث والمشاورة–على أن يكون عنوان البحث (الاعتراضات الصرفية عند الزجاج على معربي القرآن في كتابه "معاني القرآن وإعرابه ".

تمهيد:

أهتم الدارسون في مجال البحث الصرفي قديماً وحديثاً بتراكيب الكلمة، والداعي إلى هذا الاهتمام هو دراسة الأصوات اللغوية، والتركيبات الصرفية المختلفة، فلا يغيب عن دارس الأصوات والتقسيمات المقطعة الإلمام بتراكيب الكلمات حتى يتسنى له الوصول إلى مراده، وخاصة الدراسات الحديثة التي لا يمكنها الفصل بين الدراسة الصرفية والصوتية، واعتمد اللغويون جميعاً على القرآن الكريم وقراءاته المختلفة في الاستشهاد به لإثبات الأحكام، وتقعيد القواعد، فهو عندهم مقدم على كل مسموع، وهو الأصل الأول بلا منازع، إذ لا خلاف في حجته والاستدلال به في موضوعاته، ذلك لأن القرآن الكريم لا يخضع لضرورة وزن أو قافية كالشعر. ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا باللغة تنقيحاً وتدويناً الزجاج، وكتابه " معاني القرآن وإعرابه" من بين الكتب التي تحمل بين دفتيها الكثير من مسائل اللغة، النحوية والصرفية واللغوية، والزجاج درس الكثير من هذه المسائل، وتعرض للظواهر الصرفية، وهذا التعرض كان إما تحليلاً وصفياً، أو اعتراضاً على بعض الآراء التي وردت حول ظاهرة من الظواهر اللغوية، فجهود النحويين لم تكن على نسق واحد في التفكير، فقد اختلفوا في المنهاج والطريقة من ناحية، وفي تحليل الظاهرة الصرفية من ناحية أخرى، وهذا الخلاف يضع بين يدي الدارس كيف ساهم القدامى في إثراء اللغة وكيف رصدوا ودونوا كل ما يدور في فلكها. فالزجاج ينتمي لمذهبه البصري، وهذا الانتماء لم يمنعه من التفرد في بعض ما ذهب إليه من آراء، أضف إلى ذلك أنه ملم إلماماً كبيراً بالمذهب الكوفي؛ والسبب في ذلك تتلمذه على المبرد، ولهذا نجد له الكثير من الاعتراضات على الكوفيين، وفي بعضها شملت حتى مذهبه البصري[1]. ومن يطالع كتاب "معاني القرآن وإعرابه" يجد عدداً كبيراً من الآيات القرآنية التي وردت فيها العديد من المسائل الصرفية، وافق فيها الزجاج آراء قائليها تارةً، واعترض عليهم في بعضها تارةً أخرى، وفي هذا الباب سوف نقف على هذه الاعتراضات ونشملها بشيءٍ من التحليل والتبيين، بعد جمعها والتأكد منها في مصادرها، وردها إلى قائليها، في حال ذكر الزجاج الاعتراض صراحة، أو تلميحاً، وهذا هو المنهج الذي سلكه في اعتراضاته .

[1]– ينظر: معاني القرآن وإعرابه: مقدمة المحقق: 22/1 .

الصفة المشبهة:-

عند إعراب الزجاج لقوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾[2]، وقف عند كلمة ﴿مرَحا﴾ بفتح الراء، على أنها مصدر، واعترض على قول القائلين بقوة مرِحاً على أنها اسم فاعل، فالزجاج يرى بقوة قراءة المصدر ﴿مرَحاً﴾ ، ويرى أنها أوكد في الاستعمال، فهي بهذه القراءة تكون مؤكدة للفعل، يقول الزجاج ما نصه: " ويقرأ مرِحاً - بكسر الراء -، وزعم الأخفش أن مرِحاً أجود من مرَحاً؛ لأن مرِحاً اسم الفاعل . وهذا - أعني المصدر - جيد بالغ، وكلاهما في الجودة سواء، غير أن المصدر أوكد في الاستعمال تقول: جاء زيد ركضاً، وجاء زيد راكضاً ، فركضاً أوكد في الاستعمال لأن ركضاً يدل على توكيد الفعل، ومرحاً بفتح الراء أكثر في القراءة "[3] . فالزجاج صرح باعتراضه على الأخفش في كونه اختار مرِحاً أجود من مرَحاً، ولو رجعنا إلى كتابه معاني القرآن لوجدناه يقول ما نصه: "و﴿مرحاً﴾ والمكسورة أحسنهما؛ لأنك قلت: "تمشي مرِحاً " كان أحسن من "تمشى مرَحاً ". ونقرؤها مفتوحة " [4] . فالقراءة بالمصدر هي قراءة الجمهور وهي الأكثر (مَرَحاً) أما القراءة بالكسر (مرِحاً) على (فَعِل) هو بناء من أبنية الصفة المشبهة، الذي يصاغ من الثلاثي المجرد اللازم، (ومرَحاً) مصدر، والمصدر هو الأصل، والصفة المشبه متفرعة منه، كما أن القراءة بالمصدر، وقد وقع في سياق النفي، وتدل على عموم النهي عن الاختيال في المشي، بينما (مرِحا) الصفة المشبهة، تدل على المبالغة والزيادة، فقد يفهم أن النهي عن الاختيال منهي عنه في حال المبالغة فيه فقط، وهذا غير مراد . والذي أراه في هذه المسألة أنّ ما ذهب إليه الزجاج فيه قوة، لموافقته للقراءة المتواترة، وفي هذا تقديم للقراءة المشهورة على الشاذة، وبهذا يكون اعتراضه في محله

جمع رهان:-

عند إعراب الزجاج لقوله تعالى: ﴿فرهان مقبوضة ﴾[5]، اعترض على المعربين الذين جمعوا (رُهُن) وهي جمع رهان، فهي جمع الجمع، ورهان جمع رَهْن،[6] وهي قراءة أبي عمرو، ولكن الزجاج: اختار قراءة (رهان) ووصفها بقوله جيد بالغ، يقول الزجاج: " قرأ الناس ﴿فرهن مقبوضة﴾، و﴿فرهان مقبوضة﴾، فأما (رُهُن) فهي قراءة أبي عمرو، وذكر فيه غير واحد أنها قرئت: (فرُهُنٌ) ليفصل بين الرهان في الخيل، وبين جمع رهن في غيرها، ورَهْن ورهان أكثر في

2- سورة الإسراء: الآية: 37 .

3- معاني القرآن وإعرابه: 240/3 .

4- معاني القرآن للأخفش: ص424 .

5- سورة البقرة: الآية: 283 .

6

اللغة، قال الفراء (رُهُن) جمع رهان، وقال غيره: رُهُنٌ ورَهْن، مثل سُقُفٌ، وفُعُل وفَعْل قليل، إلا أنه صحيح قد جاء؛ فأما في الصفة فكثير، يقال: فرس وَرْد، وخيل وُرْد، ورجل ثَط، وقوم ثُط، والقراءة على (رُهُنٌ) أعجب إليّ لأنها موافقة للمصحف، وما وافق المصحف وصح معناه وقرأت به القراء فهو المختار ورهانٌ جيد بالغ "([7]) ولو تتبعنا آراء المعربين الذين اختاروا الجمع واعتراض عليهم الزجاج لوجدنا من هؤلاء المعربين أبو عبيدة، فقد ذكر في مجازه تعليقاً على قراءة ﴿ كلوا من ثمره ﴾[8] بضم الثاء والميم حيث قال فيه: "﴿كلوا من ثمره إذا أثمر﴾، جمع ثمره ومن قرأها: من ثمره، فضمها؛ فإنه يجعلها جميع ثمر"[9].

أيضاً من الذين قال بهذا الجمع ويشملهم اعتراض الزجاج، الأخفش حيث أنه يقول في معانيه ما نصه: " وقد تكون (رُهُنُ) جماعة للرهان كأنه جمع الجماعة، ورهان أمثل من هذا الاضطراب "[10] .

كما أن الفراء ذهب إلي هذا الجمع وأخذ به كما ذكر ذلك الزجاج وصرح باسمه صراحة، حيث يقول الفراء في كتابه: " وقوله ﴿فرهن مقبوضة ﴾ على جمع الرهان، كما قال: ﴿كلوا من ثمره ﴾ لجمع الثمار"[11]. فالفراء استعمل القياس على قوله تعالى ﴿ من ثمره ﴾ في القراءة الواردة بضم الثاء والميم، وهذا هو السبب الذي جعل الزجاج يذكره بالاسم وينسب إليه القول على الرغم من أن هناك غيره قال بهذا القول وهما أبو عبيدة و الأخفش، فالزجاج تعصباً لمذهبه الذي يرى أن هذا الرأي شاذ لا يعول عليه، وكذلك أن جمع الجمع غير مطرد في القياس عند سيبويه والنحاة [12].

إبدال الواو المضمومة همزة:-

عند إعراب الزجاج لقوله تعالى: ﴿أوليك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾[13]، وقف عند كلمة ﴿اشتروا﴾، وفصّل فيها القول، حيث تكلم عليها عند قوله تعالى: ﴿إنما نحن مستهزئون﴾[14]، فقال إن واو الجماعة إذا حركت لالتقاء الساكنين ضمت، وقد حركها بعضهم للكسر فقال: ﴿اشتروِا الضلالة﴾، لأن اجتماع الساكنين يوجب كسر

7- معاني القرآن وإعرابه: 366/1، 367 .

8- سورة الأنعام: الآية: 141 .

9- المجاز لأبي عبيدة: 207/1 .

10- معاني القرآن للأخفش: 106/1 .

11- معاني القرآن للفراء: 188/1 .

12- ينظر: الكتاب: 619/3، والمقرب: 482،483، وشرح الشافية: 208/2، والدرر المصون:686/1 .

13- سورة البقرة: الآية: 16 .

14- سورة البقرة: الآية: 14 .

الأولى إذا كانا من كلمتين، وقد رويت أيضاً " اشْتَرَوا الضلالة " بالفتح، وقد وصفها الزجاج بالشاذة جداً، والقراءة المجمع عليها هي ما نحن بصددها ﴿ اشترُوا ﴾[15]، وعندما تكلم عليها في موضعها اعترض على القائلين بإبدال الضمة همزة من ﴿ اشترُوا ﴾ إلي اشترؤا، وغلط القائلين بهذا القول لأن الواو التي تبدل همزة إذا كانت ضمتها لازمة مثل: أقتت إنما أصلها ؛وقتت، يقول الزجاج ما نصه: "...فأما من يبدل من الضمة همزة فيقول اشترؤا الضلالة فغالط؛ لأن الواو المضمومة التي تبدل منها همزة إنما يفعل بها ذلك إذا لزمت ضمتها نحو قوله عز وجل :- ﴿وإذا الرسل أقتت﴾[16]، إنما الأصل وُقتت، وكذلك أدؤر، إنما أصلها أدور. وضمة الواو في قوله: ﴿ اشترُوا أموالكم وأنفسكم ﴾[17]، لا ينبغي أن تهمز الواو فيه"[18] .

ولو تتبعنا أراء المعربين حول هذه الآية لوجدنا منهم من يجير ذلك ومنهم الكسائي حيث يقول: " قال ابن خالويه حدثنا ابن مجاهد عن السمّري عن الفراء عن الكسائي قال: سمعت بعضهم يقرأ اشترؤا الضلالة"[19]

ونقل عن الكسائي هذا الرأى عدد من العلماء منهم النحاس حيث قال: " وأجاز الكسائي اشترؤُا الضلالة بضم الواو، كما يقال ﴿أقتت﴾، وأدؤر "[20] .

وكذلك ابن الأنباري حيث قال: "وأجاز الكسائي همزها لانضمامها، وهو ضعيف وذلك لأن الواو إنما تقلب همزة إذا انضمت ضماً لازماً، وهذه ضمة عارضة لالتقاء الساكنين فلا تقلب لأجلها همزة "[21] .

والذي يتضح لي في هذه المسألة أن ما ذهب إليه الزجاج هو الصواب فهذا الإبدال الذي اختاره هو من الإبدال القياسي إذ تبدل الواو المضمومة ضمة لازمة غير مشددة همزة جوازاً، سواء كانت الهمزة في أول الكلمة أو في وسطها نحو: (أوقّتت، وأدؤر) فالأصل فيها: وِقّتت، وأدور، والعلة وراء هذا الإبدال هي كراهة اجتماع الواو مع الضمة، فالضمة ثقيلة، واجتماعها مع الواو ثقيل، فكأنه اجتمع –عندنا –واوان فكما فروا من اجتماع الواوين بإبدال الأول منها همزة وجوباً نحو: أواصل، أصلها: وواصل، فرُّوا من اجتماع الضمة مع الواو بإبدال الواو همزة جوازاً .

---

[15]– ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 89/1 .

[16]– سورة المرسلات: الآية: 11 .

[17]– سورة آل عمران: الآية: 186 .

[18]– معاني القرآن وإعرابه: 91،92/1 .

[19]– معاني القرآن للكسائي: ص63 .

[20]– إعراب القرآن للنحاس: 192/1 .

[21]– البيان في غريب إعراب القرآن:59/1 .

كما أن سيبويه ألمح إلي تعليل آخر وهو أن الواو ضعيفة، إذ تتعرض للإبدال والحذف، فوضعوا مكانها حرفاً أجلد منها وأقوى فأبدلوا منها الهمزة[22] .

قلب الياء همزة في مصائب:-

عند حديث الزجاج عن قوله تعالى: ﴿ ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش ﴾[23]، فصل القول في كلمة ﴿ معايش﴾ وذكر أن أكثر القراء لا يهمزونها، وقد رووها عن نافع مهموزة، وأن جميع نحاة البصرة يعتبرون همزها خطأً، لأن الهمز يكون في الباء الزائدة مثل صحيفة وصحائف، أما معايش من العيش، فالياء أصلية بعكس صحيفة من الصحف فهي زائدة، ثم ساقه القول إلي (مصائب) عند جمع مصيبة، فقد جاءت بالهمز، والقياس فيها أن تأتي على مصاوب، وهذا عند البصريين من الشاذ، فالقياس مصايب؛ لأن الياء فيها أصلية، فالزجاج يرى أن هذه الهمزة هي منقلبة عن الواو المكسورة (مصاوب) فصارت (مصائب) وهذا البدل يقع في الواو إذا كانت في بداية الكلمة مثل : (وسادة) قالوا: (إسادة) و﴿ أقتت﴾ أصلها وُقِتت، فهذه الواو المضمومة في بداية الكلمة، ومثلها في وسطها مثل: أدؤُر، يقولون: أدؤُر،فحملوا عليها المكسورة التي هي مثل: مصائب . ثم قام الزجاج بتوجيه رواية نافع في (معائش) بالهمز، وقال أن الياء التي في أصل الكلمة (معيشة) عندما أسكنت صار على لفظ صحيفة، فحمل الجمع على ذلك وعملت كأنه زائدة[24] .

ثم اعترض على الأخفش في توجيه الهمز بقوله "وزعم الأخفش أن مصائب إنما وقعت الهمزة فيها بدلاً من الواو أعلت في مصيبة، وهذا ردي. لا يلزم أن أقول في مقام مقائم وفي معونة معائن " [25] .

فالأخفش يري أن مصائب كان أصلها مصاوب ثم قلبت الواو ياء، فصارت مصايب، فأصبحت الياء ضعيفة بالقلب؛ لأنها منقلبة عن أصل وليست بأصل، فلما ضعفت أصبحت كأنها زائدة، فساغ قلبها همزة، فقيل: مصائب فالأخفش أخرج هذه الكلمة من دائرة الشذوذ، بقوله: "...وأما مصائب، فكان أصلها: مصاوب؛ لأن الياء إذا كانت أصلها "الواو" فجاءت في موضع؛ لابد من أن تحرك بثبت الواو في ذلك الموضع؛ إذا كان الأصل من الواو؛

22- ينظر: الكتاب: 331/4 .

23- سورة الأعراف: الآية: 10 .

24- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: 321/2،320 .

25- معاني القرآن وإعرابه: 312/2 .

فلما قلبت صارت كأنه قد أفسدت حتى صارت كأنها الياء الزائدة، فلذلك همزت، ولم يكن القياس أن تهمز، وناس من العرب يقولون: المصاوب، وهي قياس "[26]

فمن وجهة نظري أن اعتراض الزجاج على الأخفش ليس في محله؛ لأن ما ذهب إليه الأخفش هو محاولة منه في إخراج كلمة (مصائب) من دائرة الشذوذ، فهي محاولة لها وجهة نظر،وقد حاول الزجاج أيضاً في توجيهها وإيجاد لها ما يسوغها، فلا داعي لرد اعتراض الأخفش .

أيضاً من الذين اعترض عليهم الزجاج ولو لم يصرح باسمه الفراء فهو عند كلامه على كلمة معايش تعرض لكلمة مصائب، وذكر أن العرب قد همزتها، والسبب في ذلك كثرتها في الكلام، يقول الفراء ما نصه: "...وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة، شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام "[27] .

وزن أشياء:-

عند إعراب الزجاج لقوله تعالى: ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾[28]، فصل القول في كلمة أشياء، ونقل أغلب الآراء التي قيلت في وزنها، وخطأ بعضها واعترض عليها، يقول الزجاج: وأشياء في موضع جر، إلا أنها فتحت لأنها لا تنصرف. وقال الكسائي: أشبه آخرها آخر حمراء، وزنها عنده أفعال ، وكثر استعمالهم فلم تصرف. وقد أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأ في هذا، وألزموه ألا يصرف أبناء وأسماء- وقال الأخفش-سعيد بن مسعدة- والفراء: أصلها أَفْعِلاء كما تقول هَيْن و أَهْوِناء، إلا أنه كان الأصل أشيئاء على وزن أشبعاع. فاجتمعت همزتان بينهما ألف، فحذفت الهمزة الأولى، وهذا غلط أيضاً؛ لأن شيئاً فَعْلٌ، وفَعْل لا يجمع على أفعلاء، فأما هين ، فأصله أهين، فجمع على أفعلاء، كما يجمع فعيل على أفعلاء، مثل نصيب وأنصباء. وقال الخليل: (أشياء اسم للجميع كان أصله فعلاء: شيئاء، فستثقلت الهمزتان فقلبت الأولى إلي أول الكلمة فجعلت لفعاء، كما قالوا أنوق فقلبت أينق، كما قلبوا قوس فقالوا قِسِيّ. ويصدق قول الخليل جمعهم أشياء علي أشاوي، و أشاياه، وقول الخليل هو مذهب سيبويه، وأبي عثمان المازني وجميع البصريين إلا الزيادي منهم، فإنه كان يميل إلي قول الأخفش. وذكروا أن المازني ناظر الأخفش في هذا فقطع المازني الأخفش، وذلك أنه سأله: كيف تصغر (أشياء) فقال

[26]- معاني القرآن للأخفش: ص320 .

[27]- معاني القرآن للفراء: 374/1 .

[28]- سورة المائدة: الآية: 101 .

(أُشَيّاء)، فاعلم، ولو كانت أفعلاء لردت في التصغير إلى واحدها، فقيل شُيَيْئَات، وإجماع البصريين أن تصغير أصدقاء إذا كان للمؤنثات صُدَيِّقات، وإن كان للمذكرين صُديِّقون"[29] .

نلاحظ في هذه المسألة أن الزجاج اعترض على كل من الكسائي، و الأخفش، والفراء، و الزيادي، ولو تتبعنا ما اعترض عليه الزجاج في مصدره لوجدنا الكسائي يقول في كلمة أشياء ما نصه" لم تتصرف أشياء لأنها أشبهت حمراء لأن العرب تقول في الجميع أشياوات، كما تقول حمراوات ولكثرة استعمالها ذهب الكسائي إلى أنها جمع شيء كبيت وأبيات، ووزنها عنده أفعال"[30] .

وكذلك اعترض على الفراء وصرح بذكر اسمه، يقول الفراء في أشياء ما نصه: " وأشياء في موضع خفض لا تجرى، وقد قال فيها بعض النحويين: إنما كثرت في الكلام وهي (أفعال) فأشبهت فعلاء فلم تصرف، كما لم تصرف حمراء، وجمعها أشَاوَي، كما جمعوا عذراء عذارى، وصحراء صحارى، وأشياوات، كما قيل حراوات. ولو كانت على التوهم لكان أملك الوجهين بها أن تجرى؛ لأن الحرف إذا كثر به الكلام خف كما كثرت التسمية بيزيد فأجروه وفيه ياء زائدة تمنع من الإجراء. ولكننا نرى أن (أشياء) جمعت على أَفعِلاء كما جمع ليّن و أَلْيناء، فحذف من وسط (أشياء) همزة، كان ينبغي لها أن تكون (أشْيِئَاء) فحذفت الهمزة لكثرتها. وقد قالت العرب: هذا من أبناوات سعد، وأعيذك بأسماوات الله، وواحدها أسماء وأبناء تجري، فلو منعت أشياء الجري لجمعهم إياها أشياوات لم أجر أسماء ولا أنباء، لأنها جمعتا أسماوات و أبناوات "[31] .

وكذلك من الذين اعترض عليهم الزجاج وذكرهم بالاسم صراحة، الأخفش حيث أنه يقول في أشياء ما قاله الفراء، فهما يتفقان في وزن الكلمة ولكنهما يختلفان في مفردها[32] .

فالزجاج كان أميناً في نقله لآراء مخالفيه، واحتج لدعم مذهبه إلي قول الخليل وسيبويه[33]، والمازني[34]، وما بعدها، وهذه المسألة هي من المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين وقد عدها ابن الأنباري في الإنصاف، قال

29- معاني القرآن وإعرابه: 212/2، 213 .

30- معاني القرآن للكسائي: ص127 .

31- معاني القرآن للفراء:321/1 .

32- ينظر: شرح ملحة الإعراب: ص168 .

33- ينظر: الكتاب: 380/4، 381 .

34- ينظر: المنصف: ص358 .

فيها: " ذهب الكوفيون إلي أن (أشياء) وزنه أفعاء، والأصل أفعلاء، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش من البصريين. وذهب بعض الكوفيين إلي أن وزنه أفعال. وذهب البصريون إلي أن وزنه لفعاء، والأصل فعلاء"[35] .

ومن الملاحظ أن البصريين – إجمالاً– اتفقوا على مذهب الخليل وسيبويه والمازني باستثناء الزيادي و الأخفش، وأما الكوفيون فقد اختلف قطبيهما وهما الفراء والكسائي في تحديد وزن (أشياء) ورد الفراء على الكسائي؛ لأنه اعتبر (أشياء) على وزن أفعال، كما أن ما ذهب إليه الفراء كان موضع رفض من المتقدمين والمتأخرين، والسبب في هذا الرفض أن احتجاجه كان على غير قياس، فقد ذكر أن (أشياء) جمعت على أفعلاء، وكان ينبغي أن تكون (أشياء) ولكن الهمزة حذفت من وسطها لكثرتها في الكلام وهذا ليس صحيحاً، لأن أفعلاء جمعه على وزن فعيل، وليس (فَعْل)، كما أن تصغير (أشياء) على (أشيَّاء) ، ولو كان أفعلاء وزناً لوجب رده في التصغير إلي الواحد، وقد قالوا أن التصغير يرد الأشياء إلي أصلها.

وزن دريّ (فُعّيل):–

عند إعراب الزجاج لقوله تعالى: ﴿ كأنها كوكب دريٌّ ﴾[36]، وقف عند كلمة ﴿دريٌّ﴾وفصّل فيها القول، وذكر أنه لا يجوز فيها ضم الدال مع الهمز، وحجته في ذلك أنه لا يوجد وزن على (فُعِّيل)، يقول الزجاج ما نصه: " ولا يجوز أن يضم الدال ويُهمز، لأنه ليس في الكلام (فُعّيلٌ)، ومثال (دُرِّيٌّ) (فُعْلِيّ)، منسوب إلى الدُّرِّ، ومن كسر الدال قال دِرِّيٌّ فكان له أن يهمز أو لا يهمز، فمن همز أخذه من درأ يدرأ الكوكب إذا تدافع مُنْقضّا، فتضاعف ضوءه، يقال تدارأ الرَّجُلان إذا تدافعا، ويكون وزنه على (فِعِّيل). ومن كسرها فإنما أصله الهمز فخُفِّفَ، وبقيت كسرت الدال على أصلها، ووزنه أيضاً (فِعِّيل) كما كان وهو مهموز"[37] .

فمن خلال كلام الزجاج يتضح أنه ينكر هذا الوزن وهو (فُعِّيل) وحجته في ذلك عدم ثبوت هذا الوزن في اللغة العربية، وهو بذلك يعترض على القائلين بهذا القول ولو لم يصرح بهذا الاعتراض صراحة، ولو تتبعنا آراء المعرضين حول هذا الوزن لوجدنا منهم من المعربين من يقول بهذا الوزن ومنهم سيبويه، إلا أنه حكم بقلته، يقول سيبويه ما

---

[35]– الإنصاف في مسائل الخلاف: 218/2، وما بعدها .

[36]– سورة النور: الآية: 35 .

[37]– معاني القرآن وإعرابه: 44/4 .

نصه: " ويكون على (فُعِّيل)، وهو قليل في الكلام، قالوا المرِّيق، حدثنا أبو الخطاب عن العرب، وقالوا: كوكب دُرِّيّء، وهو صفة"[38] .

أيضاً من العلماء الذين أثبتوا هذا الوزن عند حديثهم عن هذه الآية، هو الكسائي، حيث يقول في كتابه ما نصه: " في قراءة دُريء كوكب دُرِّيء، أي: مضيء، تقول: درأ النجم يدرأ درءاً إذا أضاء، والدّري: الذي يشبه الدر، والدِّري: جارٍ، والدَّري: يلتمع"[39] .

والذي يمال إليه في هذه المسألة وحول هذا الوزن، هو ثبوت هذا الوزن مع قلته، كما ذكر ذلك سيبويه، وقد جاءت بعض الألفاظ على هذا الوزن: منها: المرِّيق[40]، والمرِّيخ[41]، والعُلّية، والسُرّية، للأمة، والذرية على قول فيها، أضف إلى ذلك هي قراءة متواترة، وردُّ القراءة وتلحينها مزلق خطير، وطريق لا يسلك، وتوجيه القراءة أولى من ردِّها، ولهذه الأسباب السابقة الذكر لم يكن اعتراض الزجاج في محله .

وزن كلمة توراة:-

عند إعراب الزجاج لقوله تعالى: ﴿ وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدًى للناس ﴾[42]، وقف عند إعراب كلمة ﴿التوراة ﴾ وفصل القول في وزنها، ونقل بعضاً من الخلاف الواقع في وزنها بين البصريين والكوفيين، واعترض على الكوفيين في وزنها على (تَفْعَلة)، وذكر أن هذا الوزن لا يكاد يوجد في الكلام، وكذلك وزنها على (تَفْعِلة)، ثم قلبت إلى (تَفْعَلة)، كأن القائل بهذا الوزن يجيز في تَوْصِية تَوْصَاة، ووصفه بأنه رديء؛ لأنه لم يثبت في توفيه توفاة، ولا في توقية توقاة، واختار الزجاج لها من الوزن(فوعلة) ووصفه بأنه كثير في الكلام، وهذا الوزن هو الذي ذهب إليه البصريون، يقول الزجاج ما نصه: " وقد اختلف النحويون في (توراة)، فقال الكوفيون توراة يصلُح أن تكون (تَفْعَلَة)، من وَرَيْتُ بك زَنَادِي، فالأصل عندهم: (تَوْرَيَة)، إلا أن الياء قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. (وتَفْعَلة) لا تكاد توجد في الكلام، إنما قالوا في تُتْفُلَة، تَتْفُلَة. وقال بعضهم يصلح أن يكون (تفعِلة) مثل توصية، ولكن قلبت من (تفعِلة) إلى (تفعَلة). وكأنه يجيز في تَوْصية تَوْصَاة، وهذا رديء، ولم يثبت في توفية توفاة، ولا في توقية توقاة. وقال

38- الكتاب: 4/ 268 .

39- معاني القرآن للكسائي: ص203 .

40- المرِّيق: هو حب العصفور أو شحمه، انظر: اللسان: (م ر ق) .

41- المرِّيخ: هو الشجر الرقيق اللين: انظر: اللسان: (م ر خ) .

42- سورة آل عمران: الآية: 4 .

البصريون: أصلها (فَوْعَلَة)، و(فوعلة) كثير في الكلام مثل: الحوقلة، ودَوْخَلَة، وما أشبه ذلك. وكل ما قلت فيه فَوْعَلْتُ فمصدره فَوْعَلَة، فأصلها عندهم (وَوْرِيَة)، ولكن الواو الأولى قلبت تاء، كما في (تَوْلَج) وإنما هو (فَوْعَل) من ولجت، وكما قلبت في تراث. الياء الأخيرة، قلبت أيضاً لتحركها وانفتاح ما قبلها بإجماع"([43])

فالزجاج يرى أن التوراة على وزن (فَوْعَلَة)، وهذا اختياره كما مذهبه البصري، ولو تتبعنا آراء المعربين حول هذه المسألة لوجدنا من الكوفيين القائلين بهذا القول، ومنهم ثعلب في مجالسه حيث يقول عندما يسأل عن وزنها أنه يكون: (تفعلَة)([44]) .

والذي أميل إليه في هذه المسألة ما ذهب إليه البصريون وهو اختيار الزجاج أيضاً؛ والسبب في هذا الاختيار أن بناء (تفعَلة) في الكلام قليل ونادر، و(فوعلة) أكثر في كلام العرب، أضف إلى ذلك أن التاء لا تزاد في بداية الكلام كثيراً، بخلاف الواو فإنها تزاد كثيراً وخاصة إذا كانت ثانية، وكذلك أن النقل من (تفعِلة) بالكسر إلى (تفْعَله) بالفتح في لغة قليلة، كما أن فيه تكلفاً واضحاً .

إبدال تاء الافتعال دالاً:-

عند وصول الزجاج إلى إعراب قوله تعالى: ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ﴾([45])، وقف عند كلمة ﴿ تدّخرون ﴾ وفصل فيها القول من حيث الإدغام، وذكر فيها أن تاء الافتعال تبدل دالاً، إذا كانت فاء(افتعل) دالاً، أو زاياً، و ذالاً، نحو: تدّخرون، ومزدجر، وإدّان. والعلة في هذا الإبدال أن هذه الحروف مجهورة، والتاء مهموسة، فأبدلوا التاء دالاً، لأن الدال حرف مجانس للتاء في المخرج، ومجانس لهذه الحروف (الذال، والزاي، والدال) في الوصف وهو الجهر، يقول الزجاج عند كلامه على كلمة﴿ تزدري ﴾ في قوله تعالى: ﴿ولا أقول للذي تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً﴾([46])، "...وتزدري أصله تزتري بالتاء، إلا أن هذه التاء تبدل بعد الزاي دالاً، لأن التاء من حروف الهمس، وحروف الهمس خفيفة، فالتاء بعد الزاي تخفى، فأبدلت منها الدال لجهرها"([47]) .

وعند كلامه على كلمة تدخرون في الآية السابقة الذكر يقول الزجاج وتدخرون أصلها تذخرون، ثم أبدلت التاء دالاً " ... لأن الذال حرف مجهور لا يمكن النفس أن يجري معه لشدة اعتماده في مكانه والتاء مهموس، فأبدل

---

[43]- معاني القرآن وإعرابه: 374/1، 375 .

[44]- ينظر: مجالس العلماء: 95/1 .

[45]- سورة آل عمران: الآية: 49 .

[46]- سورة هود: الآية: 31 .

[47]- معاني القرآن للزجاج: 48/3 .

من مخرج التاء حرف مجهور يشبه الذال في جَهْرها وهو الدال، فصار تَذْدَخِرُون، ثم أدغمت الذال في الدال، وهذا أصل الإدغام، أن تدغم الأول في الثاني، وتذخرون جائز"[48] .

فالزجاج يرى أن الإدغام يكون بإدغام الأول في الثاني، ويرى أن هذا هو الوجه الصحيح، فعند وصوله لقوله تعالى: ﴿ ولقد تركناها آية فهل من مدَّكر ﴾[49]، قال: " ... قال بعض العرب ﴿ مذَّكر ﴾ باذال المعجمة، فادغم الثاني في الأول، وهذا ليس بالوجه، إنما الوجه إدغام الأول في الثاني "[50] . فالزجاج بهذا القول هو يختار اللغة المشهورة في الإبدال، ويلاحظ من خلال كلامه أنه يعترض على من يقول بهذا القول، ولو تتبعنا آراء المعربين حول الإدغام وكيفيته لوجدنا من يقول بهذا الكلام وهو الفراء، حيث أن الفراء عند حديثه عن كلمة ﴿ تدخرون ﴾ ذكر أن التاء دخلت في الذال، وهو خلاف القياس في الإدغام، إذ القياس هو إدغام الأول في الثاني، أي إدغام الذال في التاء وليس العكس، يقول الفراء ما نصه: " فأما الذين يقولون: يذّخر ويذّكر ومذّكر، فإنهم وجدوا التاء إذا سكنت واستقبلها ذال دخلت التاء في الذال فصارت ذالاً، فكرهوا أن تصير التاء ذالاً فلا يعرف الافتعال من ذلك "[51].

والذي يمال إليه في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الزجاج، وهو مذهب البصريين، وهو ما عليه سيبويه والخليل[52] .

الإعلال في معايش:-

عند إعراب الزجاج لقوله تعالى: ﴿ ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ﴾[53]، وقف عند كلمة: ﴿ معايش ﴾، وتحدث عن الإعلال الذي حدث فيها، فالقاعدة المقررة في مثل هذه الكلمة (معيشة)، أو شبهه، لأن الواو والياء إذا وقعت بعد ألف (مفاعل) بشرط أن تكون الواو والياء زائدتين[54] .

ولو نظرنا إلى تصريف هذه الكلمة لوجدناها مخالفة لهذه القاعدة، ولذلك جاء الزجاج واعترض عليها عند إعرابها، يقول الزجاج ما نصه: " وأكثر القراء على ترك الهمز في معايش، وقد رووها عن نافع مهموزة. وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ، وذكروا أنما يكون في هذه الياء إذا كانت زائدة نحو: صحيفة وصحائف، فأما

[48]- معاني القرآن وإعرابه: 44/1 .
[49]- سورة القمر: الآية: 15 .
[50]- معاني القرآن وإعرابه: 88/5 .
[51]- معاني القرآن للفراء: 215/1 .
[52]- ينظر: الكتاب: 449/4 .
[53]- سورة الأعراف: الآية:11 .
[54]- ينظر: الكتاب: 390/4 .

معايش من العيش، الياء أصلية،وصحيفة من الصحف، لأن الياء زائدة، وإنما همزت لأنه لا حظ لها في الحركة، وقد قرُبت من آخر الكلمة ولزمتها الحركة فأوجدوا فيها الهمز... فأما ما رواه نافع من ﴿ معائش ﴾ بالهمز فلا أعرف له وجهاً، إلا أن لفظ هذه الياء التي من نفس الكلمة أسكن في معيشة فصار على لفظ صحيفة، فحمل الجمع على ذلك، ولا أحب القراءة بالهمز، إذ كان أكثر الناس إنما يقرءون بترك الهمز، ولو كان مما يهمز لجاز تحقيقه وترك همزه، فكيف مما لا أصل له في الهمز؟ وهو كتاب الله عز وجل، الذي ينبغي أن يمال فيه إلى ما عليه الأكثر؛لأن القراءة سنة فالأولى فيها الإتباع، والأولى إتباع الأكثر"[55] .

فالزجاج اعترض على قراءة نافع بهمز﴿ معائش ﴾، وقد ذهب إلى هذا القول كثير من العلماء منهم المازني، حيث أنه خطأ هذه القراءة ووصفها باللحن بقوله: " فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة ﴿معائش ﴾بالهمز فهي خطأ لا يلتفت إليها، وإنما أخذت عن نافع من أبي نعيم، ولم يكن يدري ما العربية، وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا"[56] .

والذي أميل إليه في هذه المسألة هو ما ذهب إليه بعض النحاة من حمل هذه القراءة على باب التوهم، إذ توهموا زيادة الياء في (معيشة)، وشبهوها بالياء الزائدة في (صحيفة)، وأعطوها الحكم نفسه فهمزوها، فباب التوهم باب واسع في اللغة والحمل عليه أفضل من رد القراءة؛ لأنها سنة متبعة، وخاصة أنها رويت من عدة طرق بالهمز، فلا يجوز ردها وتخطئتها[57] .

إدغام التاء في الطاء:-

عند وصول الزجاج لقوله عز وجل: ﴿فإذا برزوا من عندك بيّتَ طائفة منهم غير الذي تقول﴾[58]، وقف عند قوله ﴿بيّت طائفة﴾ بإسكان التاء، وإدغامها في الطاء، وهو عند الزجاج جائز، سواء كان ذلك في اسم أو فعل، واعترض على الكسائي لأنه لا يجيز ذلك إذا كان فعل فهو عنده قبيح، قال الزجاج في كتابه ما نصه: " وقرأ القراء بيّت طائفة على إسكان التاء وإدغامها في الطاء، وري عن الكسائي أن ذلك إذا كان في فعل فهو قبيح، ولا

55- معاني القرآن وإعرابه: 320/2، 321 .

56- كتاب المنصف للمازني: ص307 .

57- ينظر: البحر المحيط: 15/5 .

58- سورة النساء: الآية: 81 .

فرق في الإدغام ههنا في فعل كان أو في اسم لو قلت بيت طائفة، وهذا بيت طائفة- وأنت تريد بيت طائفة كان واحداً، وإنما جاز الإدغام لأن التاء والطاء من مخرج واحد" [59] .

فالزجاج اعترض على الكسائي صراحة بذكر اسمه، وهذا ما ذكره الكسائي في كتابه عند إعرابه لهذا الآية حيث قال ما نصه: " أدغم الكوفيون التاء في الطاء لأنهما من مخرج واحد، وروي عن الكسائي أن ذلك إذا كان في فعل فهو قبيح "[60] .

فالتاء تدغم في الطاء؛ لأنهما من مخرج واحد، وهذا الإدغام حسن، لأن التاء مهموسة والطاء مجهورة، يقول ابن يعش في ذلك: "...إلا أن إدغام التاء في الطاء أحسن، لأنها مهموسة، والطاء مجهورة. وليس يمنع الجهر إدغام المهموس، ولكن يكون إدغام المهموس أحسن"[61] .

والذي يتضح لي من هذه المسألة هو ما ذهب إليه الزجاج، فظاهرة الإدغام هي ظاهرة بين الحروف، ولا علاقة لها بين الاسم والفعل .

إدغام اليائين:-

عند إعراب الزجاج لقوله تعالى ﴿ هو يحي ويميت﴾[62]، وقوله تعالى: ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى﴾[63]، اعترض على من يدغم الياء في الياء في الرفع والنصب والجزم يقول الزجاج: "فأما قوله عز وجل ﴿هو يحي ويميت ﴾ وقوله ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى ﴾، فلا يجوز فيه عند جميع البصريين إلا يحي بياءين ظاهرتين، وأجاز بعضهم: يحيّ بياء واحدة مشددة مدغمة، وذكر أن بعضهم أنشد[64]:

وكأنها بين النساء سبيكة تمشي بسدة بينها فتعي

ولو كان هذه المنشد المستشهد أعلمنا من هذا الشاعر؟ ومن أي القبائل هو؟ وهل هو ممن يأخذ شعره أم لا ما كان يضره ذلك. وليس ينبغي أن يحمل كتاب الله على (أنشدني بعضهم) ولا على بيت شاذ لو عرف قائله، وكان

59- معاني القرآن وإعرابه: 82/2 .

60- معاني القرآن للكسائي: ص116 .

61- شرح المفصل لابن يعيش: 547/5 .

62- سورة يونس: الآية: 56 .

63- سورة القيامة: الآية: 40 .

64- البيت: ن الكامل، وهو بلا نسبة في المحتسب: 269/2، والمنصف: 206/2، والممتع في التصريف: ص369، ولسان العرب: (عيا) 112/15.

ممن يؤخذ بقوله لم يجز. وهذا عندنا لا يجوز في كلام ولا شعر، لأن الحرف الثاني إذا كان يسكن من غير المعتل نحو: (لم يؤد) فالاختيار إظهار التضعيف فكيف إذا كان من المعتل"[65] .

ولو نظرنا إلي المعربين الذين سبقوا الزجاج وتتبعنا آراءهم حول هذه المسألة لوجدنا أن كلام الزجاج يقصد به الفراء ويعترض عليه حتى ولو لم يصرح باسمه صراحة، فالفراء يجيز إدغام الياء في الياء في الرفع والنصب والجزم، وفي ذلك يقول الفراء: "وقد اجتمعت العرب على إدغام التحية والتحيات بحركة الياء الأخيرة فيها، كما استحبوا إدغام (عيَّ) و (حيَّ) بالحركة اللازمة فيها. وقد يستقيم أن تدغم الياء والياء في يَحْيا و يَعْيا، وهو أقل من الإدغام في (حيّ)؛ لأن يحيا يسكن باؤها إذا كانت في موضع رفع، فالحركة فيها ليست لازمة. وجواز ذلك أنك إذا نصبتها كقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى﴾ استقام إدغامها هاهنا، ثم تؤلف الكلام، فيكون في رفعه وجزمه بالإدغام، فتقول ﴿ هو يحي ويميت﴾ أنشدني بعضهم:

وكأنها بين النساء سبيكة تمشي بسدة فتعيّ

وكذلك يحيان ويحيون"[66] .

فالملاحظ أن الزجاج قد اعتبر كلام الفراء مخالفاً لآراء البصريين جميعهم، وأن البيت الذي استشهد به على جواز الإدغام لا يعرف قائله، وهو وإن كان لشاعر معروف، فلا ينبغي أن يستدل به على حرف من كتاب الله، وأيضاً الملاحظ من كلام الفراء أنه يرى جواز إدغام الياء في الياء على قلة وهذا يعني أنه يعترف بشذوذها، وأما البيت الذي استشهد به على جواز إدغام الياء في الياء في الفعل المضارع، فهو شاذ ولا يقاس عليه، دل على ذلك قول ابن جني: "ولم يأت هذا في الفعل إلا في بيت شاذ، أنشده الفراء، وهو قول الشاعر:

وكأنها بين النساء سبيكة تمشي بسدة بيتها فتعيّ "[67]

وقد قال بشذوذ هذا البيت الذي استشهد به الفراء كثير من النحاة كابن عصفور[68]، والسيوطي[69]، و الاشموني[70]، وغيرهم، وعلى هذا فلا حجة للفراء على استشهاده ببيت شاذ لم يعرف قائله، ويؤكد عدم جواز ما

65- معاني القرآن وإعرابه: 418/2، 419 .

66- معاني القرآن للفراء: 412/1 .

67- المحتسب: 369/2 .

68- ينظر: الممتع الكبير في التصريف: ص369 .

69- ينظر: همع الهوامع: 182/1 .

70- ينظر: شرح الاشموني على الألفية: 663،664/2 .

ذهب إليه أيضاً، هو عدم وجود قراءة تعضد مذهبه، إذ لا يوجد أحد من القراء أدغم الياء في الياء، والذي يضعف إدغام الياء في الياء هو أن حركة الياء الثانية ليست لازمة، وإنما تدخل للنصب، وعلى هذا فالنحاة لا يعبئون بها، وقد قال بهذا جمهور النحاة من البصريين .

والجدير بالذكر أن الفراء يرى بشذوذ الإدغام في (يحيا) ويقول بأنه قليل وشاذ؛ لأن حركة الياء المنصوبة ليست لازمة[71] .

إدغام الراء في اللام:

عند إعراب الزجاج لقوله تعالى: ﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾[72]، اعترض الزجاج على قول القائلين الذين يرون بإدغام الراء في اللام، وغلظ الاعتراض بوصفه خطأ فاحش، وعلل عدم جواز ذلك بقوله أن الراء حرف مكرر فلو أدغمت في اللام ذهب هذا التكرير، يقول الزجاج ما نصه: " القراءة بإظهار الراء مع اللام، وزعم بعض النحويين أن الراء تدغم مع اللام فيجوز...و يغفر لكم...وهذا خطأ فاحش، ولا أعلم أحداً قرأ به غير أبي عمرو بن العلاء، وأحسب الذين رووا عن أبي عمرو إدغام الراء في اللام غالطين. وهو خطأ في العربية لأن اللام تدغم في الراء، والنون تدغم في الراء، نحو: قولك هل رأيت، ومن رأيت. ولا تدغم الراء في اللام إذا قلت: مر لي بشيء لأن الراء حرف مكرر فلو أدغمت في اللام ذهب التكرير. وهذا إجماع النحويين الموثوق بعلمهم "([73]) .

ما ذهب إليه الزجاج في هذه المسألة هو رأي البصريين وعلى رأسهم الخليل وسيبويه، حيث يقول سيبويه: "والراء لا تدغم في اللام ولا في النون؛ لأنها مكررة وهي تفشي إذا كان معها غيرها، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم ولا يكرر"[74] .

كما ذهب إلي ذلك أيضاً المبرد[75]، وابن جني[76]، ومن وافقهما كابن عصفور[77]، والرضي[78]، فالزجاج اعترض على أبي عمرو بن العلاء وهو من كبار البصريين ورأسهم، وهو أحد القراء السبعة، وشيخ القراءة والعربية وكان

---

[71]- ينظر: الكتاب: 397/4، والمقتضب: 182/1، والأصول في النحو: 249/3، والتكملة لأبي علي الفارسي:ص612، والتبيان لأبي بقاء العكبري: 439/2، والبحر المحيط: 382/8، و همع الهوامع: 182/1 .

[72]- سورة الصف: الآية: 12 .

[73]- معاني القرآن وإعرابه: 398/1 .

[74]- الكتاب: 448/4 .

[75]- ينظر: المقتضب: 212/1 .

[76]- ينظر: سر صناعة الإعراب: ص192،193 .

[77]- ينظر: المقرب: ص366 .

أعلم الناس بالقراءات[79]، كما اعترض على الكسائي وثعلب لأنهما أجازا أيضاً إدغام الراء في اللام، ولهما فيه وجه يقول ثعلب: " أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاماً، ولفظ اللام أسهل من الراء لعدم التكرار فيها، وإذا لم تدغم الراء كان في ذلك ثقل؛ لأن الراء فيها تكرار فكأنها راءان، واللام قريبة من الراء، فتصير كأنك أتيت بثلاثة أحرف من جنس واحد"[80] .

ومن العلماء الذين اعترض عليهم الزجاج، الفراء، حيث أنه يجيز إدغام الراء في اللام يقول الفراء عند إعراب قوله تعالى: "﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾[81]، وتقرأ جزما على العطف ومسكنة تشبه الجزم، وهي في نية رفع، تدغم الراء من (يغفر) عند اللام، والباء من (يعذّب) عند الميم، كما يقال، ﴿أريت الذي يكذب بالذين ﴾[82]، وكما قرأ الحسن: ﴿ شهر رمضان ﴾[83]، "[84]. فمعظم الكوفيين قد أجازوا إدغام الراء في اللام، وحجتهم فيما ذهبوا إليه هو أن الراء حرف مكرر، واللام قريبة من الراء، فلو لم تدغم الراء في اللام كان ذلك ثقيلاً، وكأنك جئت بثلاثة أحرف من جنس واحد، كما عضضوا هذا الكلام بنقلهم عن رواية أبي عمرو بن العلاء .

كل وعلى حال فإن الاحتكام إلي السماع خير دليل على صحة ما ذهب إليه الكسائي، والفراء، وثعلب، وجميع الكوفيين، خاصة إذا كان مصدر السماع ممن هو محل اعتماد البصريين والكوفيين، كأبي عمرو بن العلاء، وغيرهم لذلك كان أبو حيان منصفاً حينما أجاز إدغام الراء في اللام؛ لأن الذين أجازوا ذلك اعتمدوا فيه على السماع، إذ لا سبيل إلي رد ذلك، وفي ذلك يقول: " وقد اتفق على نقل إدغام الراء في اللام كبير البصريين ورأسهم، أبو عمرو بن العلاء، ويعقوب الحضرمي، وكبراء أهل الكوفية: الرؤاسي، والكسائي، والفراء، وأجازوا ورووه عن العرب. فوجب قبوله، والرجوع فيه إلي علمهم ونقلهم، إذ من علم حجة على من لم يعلم"[85] .

أما السمين الحلبي فقد اعتبر إدغام الراء في اللام لغة نقلها الناس[86].

---

[78]- ينظر: شرح الشافية: 274/3 .

[79]- ينظر: وفيات الأعيان: 466/3 .

[80]- الممتع في التصريف لابن عصفور: ص458 .

[81]- سورة البقرة: الآية: 284 .

[82]- سورة الماعون: الآية: 1 .

[83]- سورة البقرة: الآية: 185 .

[84]- معاني القرآن للفراء: 206/1 .

[85]- البحر المحيط: 378/2 .

[86]- ينظر: الدر المصون: 69/2 .

في حين نقل السيوطي أن قوماً أدغموا الراء في اللام، وقال: إن ذلك هو الأصح [87].ويبدو جلياً من كلام الزجاج رده الصريح لقراءة أبي عمرو بإدغام الراء في اللام، والسبب في ذلك هو تعصبه لمذهبه البصري الرافض لهذا الإدغام على الرغم من وجود رواة ثقات، وقراء ثقات قالوا بجواز ذلك.

87- ينظر: همع الهوامع: 449/3 .

خاتمة

بعد أن منّ المولى – عز اسمه – على إتمام هذه الورقة البحثية، وبتوفيقه وبإنعامه وصلت إلى خاتمة المطاف، آن لي أن أقف بإيجاز واختصار على بعض أهم النتائج والملامح الرئيسية، وسأحاول جاهداً إيجاز ذلك واختصاره منعاً للإطالة، وهي كما يلي:

1- الزجاج إمام من أئمة اللغة، وعلم من أعلامها الكبار، ويعد كتابه " معاني القرآن وإعرابه " من أهم مصنفاته، وجمع فيها جل آرائه؛ ولذا حظي باهتمام العلماء والدارسين في زمنه وبعد زمنه .

2- الزجاج كان منصفاً في اعتراضه، فقد شملت الاعتراضات- في كتابه- البصريين والكوفيين على السواء، وذلك حسب منهجه الذي سار عليه .

3- بلغ عدد المسائل الصرفية التي اعترض عليها الزجاج في كتابه على المعربين تسع وعشرين مسألة، شملت جل فروع أبواب الصرف .

4- يقوم الزجاج بذكر اسم المعترض عليه تارة، وأحياناً لا يقوم بذكر اسمه، وإنما ينقل كلامه فقط، وأحياناً أخرى يلمح تلميحاً على المعترض عليه .

5- يقوم الزجاج بالاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته، والشواهد الشعرية، وبلغات العرب، وذلك لاعتماده على الأصول النحوية في اعتراضه .

6- الزجاج يميل كثيراً إلى مدرسته البصرية، إلا أنه اعترض في بعض الأحيان على آراء منتسبيها، فكان له رأيه الخاص في المسائل التي خالفهم فيها .

7- كان للزجاج شخصيته الواضحة الجلية، وهذه الشخصية نتاج تتلمذه على أكبر علماء عصره من المدرستين البصرية والكوفية، فكان يقطف من كل بستانٍ زهرة، فكان هذا له أثر جليٌّ في كتابه أولاً، وكذلك في العلماء الذين جاءوا من بعده وأخذوا من علمه ونقلوا عنه .

8- لم يكن الزجاج متصيدا للأخطاء، ولا متتبعاً للزلات، بل كان غرضه الوصول إلى الصواب، باحثاً عنه ما وسعه ذلك، مسانداً لاعتراضه بالأدلة والبراهين .

9- كان الزجاج كثيرا ما يتجه إلى الإيجاز في عباراته أثناء اعتراضه على كلام المعربين، وأحياناً قليلة يذكر اسم المعترض عليه مع كلامه، ولهذا كان لابد من بيان ما أوجز، وتفصيل ما أجمل، والتحقق من ما ذكر.

فهرس المصادر والمراجع

-أبو الفتح، أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2000م .

-أبو الفتح، عثمان بن الجني أبو الفتح، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الناشر: دار سركين للطباعة والنشر 1986م .

– أبو الفتح، أبو الفتح عثمان بن جني، المنصف شرح لكتاب التصريف للمازني، تحقيق إبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين، دار المعارف مصر، الطبعة الأولى 1954م .

– ابن حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الشهير بأبي حيان أثير الدين، تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد، وعلي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

– ابن السراج، أبو بكر محمد بن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة 1996م .

– ابن عصفور، علي بن المؤمن، المعروف بابن عصفور،المقرب، تحقيق احمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، 1972م .

– ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى .

– ابن يعيش، موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب بيروت .

– الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، 1990م .

– الأشبيلي، ابن عصفور الأشبيلي، شرح جمل الزجاج، الشرح الكبير، تحقيق صاحب أبو جناح .

– الإشبيلي، ابن عصفور الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوه، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت لبنان، 1996م .

– الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، تحقيق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة السابعة، 1983م .

– الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، دار الفكر القاهرة .

– الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن، البيان في غريب إعراب القرآن، تحقيق: طه عبد الحميد طه، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . – الجوهري، معجم الصحاح، بيروت، دار المعرفة، 2008م .

– التميمي، أبو عبيدة معمر بن المتنى التميمي، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي مصر .

– ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحي، مجالس ثعلب، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف مصر .

– ثعلب، أبو العباس احمد بن يحي، معاني القرآن، تحقيق سبع نيتيش الأسدي، مطبعة الناصرة العراق، الطبعة الأولى، 2010م .

– جواد، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، 1993م .

– الحريري، أبو محمد القاسم علي الحريري البصري، شرح ملحة الإعراب، تحقيق فائز فارس، الناشر: دار الأمل، الطبعة الأولى 1991م .

– الحلبي، أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم .

– خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباه أنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صابر، بيروت لبنان، 1972م .

– الرضي، ابن الحاجب، شرح الرضي على الكافية، تحقيق: عبد العالي سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى .

– الزاكي، محمد آدم الزاكي، النحو والصرف في مناظرات العلماء ومحاوراتهم، رسالة ماجستير، 1985م .

– الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة .

– السعدي، المخيل السعدي، ديوان المخيل السعدي، صنعه حاتم الضامن .

– سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، كتاب سيبويه، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1988م .

– السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح شمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .

– عبد المحسن، سلطان زهير، المؤاخذات النحوية حتى نهاية المئة الرابعة الهجرية، الناشر: جامعة قاريونس، 1995م .

– عبد الملك، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، الأصمعيات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، الناشر: دار المعارف مصر، الطبعة الخامسة .

– العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسن، التبيان في علوم القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .

– الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، كتاب التكملة، تحقيق ودراسة: كاظم بحر المرجان، دار النشر: عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1999م .

– الفراء، أبو زكرياء الفراء، المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد الثواب، مكتبة دار التراث القاهرة .

– الفراء، أبو زكرياء يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن، دار الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1983م .

– القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، 2006م .

– المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت .

– كُثَيِّر، كُثَيِّر عزة، ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه إحسان عباس، الناشر: دار الثقافة، بيروت لبنان

– الكسائي، أبو حمزة الكسائي، معاني القرآن، تحقيق شحاته عيسى، الناشر: دار قباء القاهرة، 1998م

